



تحولات الشخصية في رواية
أعراس آمنة لإبراهيم نصرالله

Character transformations in
the novel Safe Weddings by Ibrahim Nasrallah

آلاء محسن حسن الحسني

جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الانسانية (العراق)، alhassenyalaal@gmail.com

ملخص

لما كان النص الروائي يعد أحد الأنواع الأدبية ذات التأثير المهم في الواقع الثقافي والاجتماعي، ولما كانت الشخصية من أبرز المكونات الرئيسة التي يقوم عليها العمل السردية عامة والروائي خاصة، والعامل الذي من خلاله تؤهل الرواية الى النجاح والتميز، إذ يتمكن الروائي من اختيار شخصياته بكل عناية واهتمام زائد بوصفها بؤرة الحدث، فيتم بتكوينها العام وبمختلف أبعادها الاجتماعية والنفسية، لذا سعت هذه الدراسة الى الوقوف على التحولات التي تطرأ على الشخصية على المستويين المكاني والنفسي مع رصد الجوانب النفسية لها.

الكلمات المفتاحية: تحولات، الشخصية، أعراس، آمنة.

Summary:

Since the fictional text is one of the literary genres with an important impact on the cultural and social reality, and since the personality is one of the main components on which the narrative work in general and the novelist in particular, and the factor through which the novel qualifies for success and distinction, as the novelist is able to choose his characters carefully And extra attention as being the focus of the event, it takes care of its general composition and its various social and psychological dimensions, so this study sought to identify the transformations that occur in the personality at the spatial and psychological levels, while monitoring the psychological aspects of it

Keywords: transformations, personality, weddings, safe

مقدمة:

تعد رواية أعراس آمنة من أبرز روايات الكاتب الفلسطيني إبراهيم نصر الله، وهي تنتمي الى سلسلة الروايات التي عالجت القضية الفلسطينية ضمن مشروع (الملهاة الفلسطينية)، وكشفت عن معاناة المجتمع الفلسطيني وتحمله الأحزان والأوجاع في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، وهي رواية قصيرة في فصولها عميقة في مضمونها الذي تناوبت على سرد فصوله شخصيتان رئيستان هما آمنة ورندة.

ولما كانت رواية أعراس آمنة هي رواية شخصية بامتياز من خلال اسناد البطولة والسرد للنساء (آمنة، ورندة) فضلاً عن أهمية الشخصيات الأخرى في الرواية، لكونها تكشف عن معاناة المجتمع الفلسطيني، الأمر الذي أضفى على الرواية رونقاً وجمالاً، من هنا سعينا الى رصد تحولات الشخصية داخل المتن الروائي على المستويين المكاني والنفسي .

1- التحول المكاني للشخصية

سنحاول من خلال هذا المحور رصد حركة الشخصيات وتنقلها داخل فضاء رواية (أعراس آمنة) الشكل التعبيري الذي شيده إبراهيم نصر الله على الواقع السياسي والاجتماعي الفلسطيني المرير. فالمكان بشكل عام في الرواية هو فضاءها الشامل، وسياق أحداثها ومكان تطور شخصياتها " إنه العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية ببعضها البعض" (1).

إن علاقة المكان بالشخصية داخل المتن الروائي تتحدد إذا علمنا " أن المكان بالمعنى الفيزيقي، أكثر التصاقاً بحياة البشر، من حيث خبرتهم وإدراكهم له (...). وأنه بقدر ما يصوغ المكان الشخصيات والأحداث الروائية يكون هو أيضاً من صياغتهما، إن البشر الفاعلين صانعي الأحداث هم الذين أقاموه وحددوا سماته، وهم قادرون على تغييرها" (2). وهو بمثابة الجسد الذي يحتوي الشخصية، التي قد تموت بموته أو تحيا بحياته، إنه يضيء الحيوية والحركة على الشخصية ويجعلها تتحرك بحرية في جميع الاتجاهات، كما يضيء عليها الجمود، ويفرض عليها حواجز تمنعها من الحركة، لذا فإن " اختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءاً من بناء الشخصية البشرية (...) فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها ولكنها تنبسط خارج هذه الحدود، لتصبغ كل ما حولها بصبغها، وتسقط على المكان قيمها الحضارية" (3). لذا فإن المكان " ليس عنصراً زائداً في الرواية بل يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل الروائي كله إذ تحركه لغة الكاتب ومخيلة المتلقي" (4).

بالرغم من أن المكان في رواية (أعراس أمينة) يتسم بالعمومية إذ تجري أحداث الرواية في (مدينة غزة)، إلا أن ذلك لا يمنع من كثرة تحرك وتنقل شخصيات الرواية من مكان لآخر داخل الوطن المحتل، وانعكاس هذا التحرك على الأمكنة من خلال تحميلها بدلالات رمزية ونفسية تشكّلت بفعل التعالق النفسي والشعوري بين الشخصية والمكان، إذ "إن الشخصيات تضيف على المكان دلالات مجازية يحققها المؤلف من خلال نزوع الشخصيات البطلة في خلق نظام مكاني يؤسس ضمن فوضى المكان الذي يزعجهم فيه المؤلف، والذي يحقق أيضاً، منظوره الفلسفي والجمالي من جانب، ومنظوره أبطاله الإيديولوجي والنفسي من جانب آخر " (5).

تنهض رواية (أعراس أمينة) على نسق سردي يكاد يكون مهيمناً على التشكيل البنائي، ألا وهو فكرة انتقال الشخصيات بين أماكن عدة تتناسب مع طبيعة السرد وتموضعه داخل المتن الحكائي، إذ أن " تغيير الأمكنة الروائية سيؤدي الى نقطة تحوّل حاسمة في الحبكة، وبالتالي في تركيب السرد والمنحى الدرامي الذي يتخذه " (6)، فكل مكان تنتقل إليه الشخصية يمثل إضافة جديدة الى مستوى السرد والأحداث، كما أن تنوع الأمكنة وتعدد أشكالها يمنح الشخصية حيزاً أكبر للحركة والتفاعل والنمو داخل النص الروائي، وذلك كله يصب في مضمون العمل الروائي ورؤيته (7)، ويؤثر على الحالة الشعورية والنفسية للشخصية، فالتحولات المكانية التي مرّت بها الشخصية أثناء انتقالها من مكان الى آخر جسّدت حالة من التحوّل النفسي الذي يتلاءم مع طبيعة المتن الحكائي.

بعد قراءة الرواية (أعراس أمينة) قراءة شاملة يمكن تصنيف الأمكنة على وفق تأثيرها وتأثيرها في الموقف السردى من جهة، ودورها في رسم ملامح الشخصية النفسية والذهنية من جهة أخرى على النحو الآتي :

1- الشخصية بين المكان الأليف والمعادي

2- الشخصية بين المكان الضيق والمتسع

3- الشخصية بين المكان الحلم والواقع

1.1 الشخصية بين المكان الأليف والمعادي

للمكان أبعاداً نفسية فضلاً عن وظائفه الفنية وأبعاده الاجتماعية والتاريخية التي ترتبط به ولا تفارقه حتى أننا نسترجع هذه السياقات والأبعاد عند استرجاعنا للمكان (8)، والشخصية قد تنسجم مع المكان وقد لا تنسجم وهذا " أمر طبيعي فالشخصيات هي التي

تعيش في هذه الأماكن تتلاحم معها وتندمج فيها، تحس بألفتها، وثمة شخصيات تتجاوز سلبيتها فتتفر من أماكن وربما تعادياها " (9)، بعبارة أخرى إذا " حدث نوع من الانسجام فإنها تحيا فيه وتعيش في ألفة، وإذا لم يحدث فستكون الشخصية كارهة للمكان، ويخلق نوعاً من التناقض " (10)، ولكن هذا المبدأ قابل للتغيير إذ من الممكن أن تتحول هذه الأمكنة من فضاءات تتألف معها الشخصية وتشعر بالأمان فيها إلى أخرى معادية محكومة بمشاعر النفور والكراهية .

يبدو أن (مركز تأهيل المصابين) وهو المكان الذي تعمل فيه (أمنة) الشخصية الرئيسة في الرواية كمشرفة، يمثل بالنسبة لها مكاناً معادياً لكثرة ما تشاهده يومياً من المصابين فيه، فهو مكان له سيميائياته الخاصة المرتبطة نفسياً بالمرض والوحدة والألم، في مقابل ذلك تكون عودتها إلى (البيت) مصدراً للشعور بالراحة والأمان والطمأنينة والحماية من الأخطار الخارجية المتمثلة بالقصف الاسرائيلي، تقول رندة مشخصة تأثير المكان على سلوك الشخصية وتعرية الجانب النفسي والشعوري لها: " غالباً ما كنا ننتظرها عند بوابة البيت، في وقت عودتها من عملها من مركز تأهيل المصابين التي قادتها شهادتها الجامعية في علم النفس إليه كمشرفة، من طرف الشارع تطل حزينه دائماً، ولكنها ما إن ترانا، حتى تنشر ابتسامتها التي عرفناها بها " (11)، يضغط العمل في (مركز تأهيل المصابين) نفسياً على سلوك الشخصية ويؤكد حالة الانحسار النفسي التي تمخضت من المشاهد المؤلمة التي تراها يومياً، تقول رندة: " ليس هناك أكثر إيلاماً من أن ترى طفلاً يتألم، طفلاً تعرف أنه لن يمشي، طفلاً لن يعرف إلى الأبد ما سيحدث غداً، في هذه الدنيا طوال حياته " (12).

إن التنوع الجغرافي للأمكنة يسهم في تنوع أماكن السرد وتجديدها بما يضيفه من بواعث فنية وجمالية تعيد تشكيل ملامح النص بما يتوافق مع رؤية الشخصية وتكوينها العاطفي والوجداني، إذ ثمة مكان آخر في الرواية تتحدد دلالاته من خلال التأثير الذي يتركه في الشخصية ووعيها وسلوكها، تقول أمنة: " كنت عائدة من عند أم جواد، حين سألت الناس، ما الذي يقصفونه اليوم ؟ وقبل أن يجيب أحد الأولاد، قلت له أعرف. لا تقل لي. ألم يقصفوا المقبرة ؟! " (13)، فمكان المقبرة من الأماكن ذات البعد الروحي، إذ تقف فيه الذات أمام حقيقة الموت، وهي فضاء للمواعظ والاعتراف بالذنب، ولكن في رواية (أعراس أمنة) تنقلب من فضاء السكينة إلى فضاء القلق والاضطراب والرعب " ألم أقل لكم: لم يعد هناك أي مكان آمن ؟ أتعرفون، لم يعد هناك أي مكان آمن ! تتذكرون مصطفى

الرملاوي – أبو عنتر ؟ آ، مصطفى ما غيره ؛ قتلوه على مفترق الشهداء. قلبي يوغوشني، ويقول لي: ما داموا وصلوا لقتل مصطفى، الله يرحمه، فلماذا تستبعدون أن يقتلونا جميعاً. حتى مقبرة الشهداء لم تعد آمنة يا آمنة، ستة صواريخ، ولماذا ؟ هل سمعتم ذلك الهدير ؟ لقد هزَّ غزّةً بأكملها "(14). فكانت المقبرة بتفصيلاتها المثيرة والمخيفة مكاناً مؤثراً لتجسيد حالة الخوف من الموت، أنه الانفلات من طبيعة المكان والتمرد على آلياته، فيعكس هذا التنافر بين الشخصية والمكان تمرداً في صلب السرد وآلياته .

لا تزال بعض الأماكن في الرواية تشكل القوة الضاغطة والمهيمنة على المسار النفسي والشعوري لـ (آمنة) وهذه المرة تتصدر المستشفى بتفصيلاتها المختلفة المشهد السردي " حين وصلنا المستشفى، كانت الدنيا قائمة قاعدة. مئات الناس جاءوا للمستشفى. جاءوا ليتعرفوا عليك. عندما استطعنا أن نشق طريقنا عبر الناس الذين كانوا يبكون، ووصلنا لذلك الشخص الذي يرتدي الأبيض الملطخ بالدم على باب المشرحة: قلت له: أريد أن أراه. فسألني: بتقربي له ؟ فقلت له: أنه زوجي (...) رفع الغطاء عنك لم أر شيئاً، وكان الدخان يغطي تلك الأشلاء التي يحولها الانفجار الى فحم .. حاولت البحث بعيني عن شيء يشير إليك لم أجد. رجوته أن يكشف الغطاء أكثر، فقال لي: ما الذي تريد أن تريه ؟ لا شيء يرى يا أختي ! لا شيء !! ولكنه رفع الغطاء أكثر، ولم أر شيئاً، فبدأت أبكي، ثم رحت أصرخ. جمال، جمال. سألتني: هل تعرفت عليه. وكان صراخي يزداد. جاءت ممرضة، أحاطتني بذراعيها وسارت بي نحو البوابة الخارجية. وما أن لمحت وجهه صال حتى جفت دموعي، وجفَّ صراخي، كما لو أنني لم أصرخ ولم أبك. لقد رأيتك. رأيتك في وجهه "(15). إن الناظر الى تشكيلات هذا الحيز المكاني (المستشفى) تتراءى له حالة الضياع والألم التي لا تكاد تفارق وعي الشخصية، فالمستشفى مكان له سيميائيته الخاصة المرتبطة نفسياً بالمرض والوحدة والألم. وهو مكان محاصر للذات بكل ملامحه الطبوغرافية والنفسية التي تضافرت في خلق فضاء مكاني تنفر منه وترفضه نفسياً .

2.1 الشخصية بين المكان الضيق والمتسع

ثمة نوع آخر من الأمكنة في رواية (أعراس أمينة) تتحدد دلالاته من خلال التأثير الذي يتركه في الشخصية ووعيها وسلوكها، وهذا النوع يتجلى بحدوده الجغرافية المرتبطة بالسعة والضيق، إذ أن حركة الشخصيات وتنقلها بين أمكنة مختلفة هيأت له الظهور على مساحة السرد والأحداث .

قديمًا كان الروائيون والنقاد ينظرون الى المكان بوصفه إطاراً ساكناً سلبياً لاحتضان الأحداث والشخصيات والزمن، فوصفوه وصفاً جامداً (16)، لكن بمرور الزمن تحوّل المكان من مجرد ديكور الى محاور حقيقي يحرق نفسه من أغلال الوصف التقليدي الجامد وذلك عبر اسقاط الحالة الفكرية للشخصية على المحيط الذي تعيش فيه (17).

تحدّث النقاد عن تقسيم المكان الى المغلق والمفتوح إذ ليس " ثمة فرق بين مكان مغلق وآخر منفتح في الفن الفرق بينهما من حيث كونهما مكانين مسميين في الطبيعة. أما عند الفنان فقد يكون للمكان المغلق قيمة فنية وجمالية رغم محدودية مساحته، وقد يكون أكثر ضيقاً مما هو عند كاتب ضعيف المخيلة " (18).

إن الاستقراء الدقيق لنصوص هذا المنجز الروائي يؤشر لنا إن هذه الأمكنة تتراوح دلاليًا بين السعة والضيق أو الانغلاق والانفتاح، بمعنى أنها لا تخضع لمبدأ الثبات والاستقرار، بل تنقاد تبعاً لتعدد الأمكنة وحركة الشخصيات فيها، فقد تتحوّل دلالة المكان من الضيق الى الاتساع أو العكس، إذ أن المقبرة بوصفها مكاناً مغلقاً تضيق أحياناً وتتسع أحياناً أخرى، فسبب كثرة القبور التي كان يحفرها (عزيز) للموتى صار يشعر بأن الموت صار قريباً منه، يقول محاوراً آمنة: " وذات مرة قال لي: يا خالتي صرت أخاف من نفسي وصرت حزينا أكثر. فسألته: ولماذا يا بني ؟ فقال: لأنني أصبحت أحس باللحظة التي يجب علي أن أترك فيها أصحابي، أو فراشي لكي أحفر قبوراً جديدة، لأنني أصبحت أشعر في لحظة ما، أن هنالك موتاً قادمًا في الطريق، وما يعذبني أنني لا أعرف أيّ طريق سيسلك، لأسبقه وأحذر الناس " (19). إن كثرة القبور التي حفرها عزيز أسهمت في تدهور العلاقة بينه وبين المكان.

ثمة مشهد آخر يدل على ضيق المكان (المقبرة) في الرواية " لقد شاهدت الكثير في غرّة، وسمعت عن الكثير هناك في الضفة، لكن ما حدث هنا، في مقبرة الشهداء، كان شيئاً أراه للمرة الأولى. نساء كثيرات تحلّقن حول القبر يبكين من فيه. كل واحدة منهن كانت على يقين بأن من في القبر هو زوجها، ابنها، أو أخوها، أو حبيبها. وكل واحدة منهن كانت تبكيه وتتطلع لباب المقبرة، فلعلّه يأتي فجأة ليقول لها: ما الذي تفعلينه هنا ؟! " (20). أن المقبرة بوصفها حيزاً مكانياً واسع المساحة غدا ضيقاً بالقبور والبكاء، وقد جاء الوصف الخارجي لذلك المكان المتسم بالضيق والانغلاق ملتجماً الى حد بعيد مع بنية السرد إذ وظّف توظيفاً

دلاليّاً أسهم في تجسيد الحالة النفسية والشعورية للشخصيات والتي جاءت منسجمة مع طبيعة الوصف وتشكيلاته.

ويبقى للحضور المكاني قيمته ودوره في استجلاء مكانن الشخصية وتعريّة سلوكها والكشف عن تأثيره في وعيها، فالمقبرة هذا الحيز المكاني أصبح فسيحاً وواسعاً في نظر أولاد الشهداء وبدأوا يتجاوبون معه نفسياً وشعورياً: "ثمة أولاد حضروا، بكوا قليلاً، بكوا كثيراً. وبعد أيام كان يمكن أن تشاهدهم يلعبون بين القبور معاً، كأخوة، يدركون أن من في القبر أبوهم. ولعلمهم وصلوا الى تلك النتيجة التي لم يكن باستطاعة النساء الوصول إليها، حينما كنّ يتحدثن عن كل الشباب بعيداً عن المقبرة، ويقولن: إنهم أولادنا" (21). إن علاقة الأولاد مع المكان هنا "تكشف عن مفهوم حرية الإنسان في استخدام المكان ومحاولته أن يجعل المكان على الرغم من محدوديته حقلاً واسعاً يتحرك فيه كيفما يشاء" (22).

إن مسببات الضيق والانغلاق تتمثل في شاغلي المكان وليس في المكان نفسه "لأن الناس هم الذين يرسمون المكان ويشكلونه، ويلونونه، ويبرزون جمالياته" (23)، إن غياب والد الشخصية (رندة) وأخويها عن البيت، يسهم في تدهور العلاقة بينها وبين المكان (البيت): "تعرفين، أمي موافقة، دائماً تقول لي: ومن أين لنا بعريس أفضل من صالح وبأهل أفضل وأشرف من أهله؟ لكنها أحياناً، تتذكر أبي، تتذكر أخوي، تتذكرني، فتقول لي: وهل يقام عرس في بيت حين يكون الأب محبوساً والأولاد مطاردين. سنبيكي ونحن نتذكرهم أكثر مما سنفرح بالعرسان" (24). إن علاقة (رندة) بالبيت يشوبها الحزن والنفور، ذلك أن "المكان لا يقف عند وظيفة الديكور في البنية الروائية. وإنما تكون وظيفته إظهار مدى التألف أو التنافر في هذه الوظيفة المكانية" (25).

وفي مشهد آخر مغاير من الرواية يدل البيت على الانفتاح أو الاتساع: "حين دقّت بابنا كنت أول من يراها من أهل بيتنا، جميلة كممثلات السينما، تشبه "آثار الحكيم". تشبهها كثيراً (...). كانت تحدّثني بلهجة من يعرفني من سنوات طويلة، تحدّثني كبنت كبيرة، وليس كبنت صغيرة أطلت من نصف باب. شجعتني هذا كثيراً، أشرعت الباب كلّ (...). ذات يوم سمعت الباب يطرق، خرجتُ، فوجدتها أمامي، فرحتُ، فرحتُ كثيراً، وحين رأيتُ رجالاً يفرغون الشاحنة أمام البيت المجاور، تركتها واقفة، قبل أن اعرف ما الذي تريده، ورحت أعدو للداخل صارخة بفرح: آثار ستصبح جارتنا، آثار ستصبح جارتنا! (26). يبدو أن (رندة) لم تستطع أن تكتم فرحتها بلقاءها بـ (أمّة) وشدة إعجابها بها، وهي تعلم أن سبب

سعادتها هو أن وجه (أمانة) يذكرها بممثلة مصرية تحبها وهي (آثار الحكيم)، وأنها ستصبح جارة لهم، فقد تحولت صورة البيت الى صورة تجسد فرحها العميق وتآلفها معه .

3.1 الشخصية بين المكان الحلم والواقع

لا تكتمل دورة الفعل المكاني وتأثيره على حركة الأحداث إلا بوجود الشخصيات وتحركاتها، فالتأثير قائم ومتبادل بينهما، فـ " المكان بلا حركة إنسانية لا يغدو مكاناً " (27)، كما أن الإنسان " هو الذي يمنح المكان قيمته وربما وجوده " (28)، ولعل " هذا الترابط الوثيق بين الشخصيات وفضاءاتها يجعل كل شخصية لها بنيتها الفضائية الخاصة " (29) .
قد ترد في النص السردي أمكنة يبنمها الخيال المستفيد من الواقع، لكن من دون تصويرها بوقائعها الحقيقية، أو نقلها كما هي، فالمكان الذي يتمناه (عزيز) يمثل بؤرة تحمل دلالات مغايرة لما يتصف به المكان الآخر (الواقع): " قال: أتعرفين ما الذي أتمناه يا خالتي ؟

- ماذا يا ابني ؟

قال: أن يعي يوم لا نكون مضطرين فيه لحفر قبور احتياطية " (30). تتجلى في هذا النص ردة فعل الشخصية الراضية للواقع المساوي الذي تعيشه في بلدها (فلسطين)، كاشفة عن الوجه الحقيقي له واستحالة العيش فيه، لينتج له دلالة معرفية بالآزمة والمأساة التي تحياها هناك، تقول (أمانة) عنه: " تعرفون هذا الولد معذب بحفر القبور. يقول لي دائماً، تعرفين يا خالتي أمانة: إنهم يفاجئونا، ويقتلون شبابنا كل يوم، ويجب ألا نفاجأ. يجب أن تكون هناك قبور جاهزة " (31). فالنص هنا بأدواته التعبيرية والفنية يكشف عن وعي فني ودلالي عميق يهدف الى تشخيص معرفي ورمزي للواقع الذي يعيشه (عزيز).

يتحوّل المكان الحلم في هذا المنجز الروائي الى هاجس يتغلغل في وعي الشخصية (رندة)، فيغدو حلقة الوصل المفقودة التي تربطها بالعالم الموعود الذي لا يفتأ يداعب مخيلتها، حتى أصبح ذلك المكان هو المكان الذي يجمعها بشخصية (غسان كنفاني): " هكذا دائماً، كلما كانت تغلق الأبواب أمضي لبابه الذي لم أجده يوماً مغلقاً. لية أمس رأيت، غسان، في الحلم، فرحتُ، كان يسير في شارع أعرفه ولا أعرفه، شارع واسع ونظيف وحوله البحر من الجانبين، تبتعهُ أولاً، تبتعه من بعيد. لم أجرؤ على الاقتراب منه، وفي الحلم خيل إلي أنني أحلم، وخيل إلي أنني سأصحو، كل الأشياء تشابكت، وسمعت صوتاً

يقول لي، لعله صوتي: أين شجاعتك، تتحدثين عنه ليل نهار، وحين يطلّ تفرّين هاربة كفارة مدعورة ؟ "(32). يمارس التأثير المكاني فعله على شخصية (رندة) بما يحمله من سلبية، باحثة عن مكان جديد يسمو بها الى واقع مغاير يجمعها مع (غسان كنفاني).

2- التحوّل النفسي للشخصية

يتصل الأدب بعلم النفس اتصالاً وثيقاً، وهذه الصلة ممتدة الجذور في التراث الانساني، كما أنه ارتبط منذ بداياته بالممارسة الفكرية والعقلية للإنسان أيّاً كان اتجاهها وأيّاً كان ميدانها، ومادام الأمر كذلك " فإننا لا محال مدركون ما بين علم النفس والأدب من وثيق الصلات ومتين العلاقات فحيثما يوجد نشاط عقلي توجد مادة لعلم النفس ويتضح ميدان العالم النفسي "(33).

هذا الأمر ينطبق على علاقة الرواية بعلم النفس أيضاً، بل يبدو أن هذه العلاقة أعمق، لاسيما إذا علمنا أن الرواية من أكثر الأجناس الأدبية تجسيدا للأبعاد النفسية، فهي تمثل " بحث في النفس البشرية "(34)، لما تنطوي عليه من مشاعر وأفكار وصراعات ومحاول فك وتركيب وتحليل العلاقات الإنسانية من منظور نفسي، لذا أصبح البعد النفسي التي تركز عليها معظم الكتابات الروائية، بكل ما في ذلك البعد من انعطاف باطني وتركيز على المحتوى الداخلي للشخصية، وما تنطوي عليه من حالات ذاتية نفسية والتعبير عن مجرى تجربتها العقلية.

يمثل التحوّل النفسي النسق الآخر المؤثر والمهيمن في بنية الشخصية الروائية في مستويها الفكري والنفسي، إذ يعمل هذا التحوّل على دراسة " الأحوال الفكرية والنفسية، وما ينتج عنها من سلوكات وتصرفات وآراء يدلي بها في مناجاته وحواره مع الآخرين، فما يفكر به العامل غير ما يفكر به الطالب "(35)، كل ذلك يتم عن طريق التتبع النفسي للشخصية وصولاً الى حقيقة تكوينها ورصد كل تحولاتها النفسية .

بعد هذا المعطى سنقف عند التحوّلات النفسية لأهم شخصيتين في الرواية هما شخصية (أمّنة، ورندة)، والتي حاول الكاتب أن يبرزها من خلال تحولات داخلية تنطوي على عوامل التحوّل النفسي والفكري معاً. تمثل (أمّنة) أهم شخصيات رواية (أعراس أمّنة) التي يقع التركيز عليها كونها مرت بتحوّلات نفسية مؤلمة شكلت شخصيتها، وقد نجح (إبراهيم نصر الله) في رسم ما عانتها (أمّنة) من تحولات نفسية سببها الاحتلال الاسرائيلي على (فلسطين) الذي أفقدها عائلتها ومن تحب، مما ترك أثره على تكوينها الوجودي: " متعبة

كانت كما لو أنها على مشارف الستين، لكنها كانت طويلة كما عرفت دائماً، رغم أن الأعباء الملقاة على قلبها كافية لسحق قامة سنديانة "(36). عاشت هذه الشخصية في ظل ظروف نفسية صعبة لكنها رغم ذلك ظلت صامدة وقوية .

هذه الشخصية تبدأ معاناتها النفسية منذ أن قررت الزواج بالرجل الذي تحب (جمال): "غداً مساءً سنكون عندكم (العيلة بالليلة). البسي ثوبك ثوبك الأبيض وانتظريني. قلت لمصطفى هذا الكلام، فقال: لي هل جنّ خطيبك ؟ سيقتلونه. انتظرتك، وانتظرتك، لم تأت، وجاء واحد ليقول لي إنك في المستشفى، في مستشفى غزة المركزي. دخلت لأخلع ثوب العرس، فقال لي: إنه يريدك أن تأتي كما أنت. فرحت أبكي، أبكي كما لو أنني فقدت. في المستشفى احتضنتك بأبيض الذي استحم بالدم، وكان آخر ما كنت أتوقعه أ أراك تبتسم كما لو أن شيئاً لم يحدث "(37). وهنا نتعرف على أنا متألمة من خلال ردة فعلها المتوالدة كنتيجة حتمية لحالي الحزن والفرع، فالألم النفسي لهذه الشخصية ينتهك الحد الطبيعي، فكان لابد من اللجوء الى وسيلة تشعرها بالراحة وهي أن تحتضنه بثوبها الأبيض.

ثم توالى الانكسارات النفسية لـ (أمانة) ومعاناتها، لاسيما بعد حرمانها من زوجها (جمال) بسبب تعرضه للسجن على أيدي الاحتلال: " أرجوك لا تفهمني غلط، أحياناً أحس أن المرتين الوحيدتين اللتين اختلى الواحد منا فيه بالآخر كانتا مرة لننجب صالح قبل السجن، ومرة لننجب نادية بعد السجن. وها أنت ترى كأنهم حوّلونا الى مفارخ دون أن ندري. بعد أن اقتطعوا تسع سنوات من روعي بظلام سجنهم. بسجنهم لك. تقول لي: أنني أبالغ ؟ لأننا لسنا مجرد مفارخ ؟ ! أعرف أنني أبالغ، ولكن هذه المبالغة لا تدل إلا على شيء واحد، أننا حرماناً من العيش معاً، أعني أننا كنّا نحتاج لبعضنا البعض أكثر "(38). وامتداداً لهذا الحرمان يعتري شخصية (أمانة) حرماناً آخر أشد تأثيراً في البناء النفسي والسلوكي لها، إذ يأخذ مساراً آخر واستراتيجية خاصة تستند أساساً على التماهي مع واقعها الجديد المتأسس على الحرمان والفقدان (فقدان زوجها)، تقول أمانة: " لم يكن من السهل معرفة الوجه على الشاشة كانت الدماء تغطيه. وفي الطريق سألت نفسي، هل رأيت وجهاً أم خُيل لك أنك رأيت وجهاً ؟ لا أعرف. كل الأشياء اختلطت ببعضها البعض ولعلها شكّلت وجهاً بالصدفة، وجهاً ليس بالضرورة أن يكون وجهك، لأنني كنتُ أراك في كل مرة على هيئة أخرى كلما التقيتك، كنتُ أفزعُ في البداية، وأقول لنفسي، ما الذي يفعله هذا الاحتلال بك يا أمانة، إنه يقذف بجسدك في كل مرة الى ذراعي شخص ترينه للمرة الأولى ! "(39). هنا تصل

الشخصية الى مرحلة نفسية معقدة ألقت بضلالها على سلوكها وأفكارها، فأصبحت عرضة للخوف والحزن تتقاذفها أيدي الاحتلال الى كل شخص يسقط شهيداً .

إن الهيئة التي مات عليها (جمال) والوضعية المثيرة للتساؤل والخوف في آن واحد، إنما هي محاكاة لتجربة قاسية أخرى، قد تعرضت لها (أمّنة) في وقت سابق، فظلت هذه الهيئة راسخة في اللاوعي، هي في الحقيقة (موت أخيها مصطفى) : " حين استشهد مصطفى قلت لي: لا تخشي شيئاً فأنا معك ؟ كان هذا يقويني قليلاً، رغم أنني أعرف أن مصطفى لم يعد معي، ولن يعود، بعد أن أطلق المستوطنون الرصاص عليه لأن السيارة التي كان فيها كانت تحاول تجاوز سيارتهم، هل تتصوّر ! أهذا سبب كافٍ كي يموت الإنسان هنا ؟ " (40) .

يمارس الفعل الجمعي دوره في تحويل المسار النفسي لشخصية (أمّنة) بما حمله من ردّات فعل سلبية ألقت بضلالها على تكوينها النفسي والفكري، فغدا الصراع بينهما داخلياً أحدث عندها تحولاً نفسياً جعلها تشعر بالعذاب والإحباط، فقد فقدت زوجها وأخيها اللذان طالما أحبتهما وشعرت معها بالأمان، فهما يتركانها بلا سند، تقول (أمّنة) : " يعذبني أنني كنت أحسّ دائماً أن الحياة ستكون قصيرة معك، حتى لو عشنا معاً مائة عام. يعذبني أنني أحسستها قصيرة، وها هم يأتون من كل الجهات بدباباتهم وطائراتهم وجنراتهم كي يجعلوها أقصر. كما لو أن كل سنة يقتلعونها من روحنا ستضاف الى أعمارهم ويعمّرون للأبد " (41). إن فقدان الزوج (جمال) يمثل البداية الحقيقية للمأساة التي حطمت البنية النفسية لـ (أمّنة) وغرست فيها ألماً نفسياً أرغمها على أن تنظر الى الحياة بصورة مغايرة.

وإذا انتقلنا الى شخصية أخرى من شخصيات الرواية وهي شخصية (رندة)، ابنة جارة (أمّنة) والأخت التوأم لـ (لميس)، وهي شخصية لا تقل أهمية عن شخصية (أمّنة)، لأنها كانت ترافقها في كل أحداث الرواية، بما تبثه لها وللآخرين من روح التفاؤل والشعور بالراحة والأمان، تقول (أمّنة) : " الصحيح أنها لم تتركني. دائماً أحسّ بأن يدها في يدي، وعلى جبيني، حتى عندما أنام اسمعها تحدّثني. سأقول لك شيئاً غريباً، أعرف إنك لن تصدقه، ولكن هذه البنت حين تجلس قرب رأسي في الليل، وتضع كفّها على جبيني، أنام مرتاحة، أنام كجنين في رحم أمه " (42) .

تعد شخصية (رندة) من أهم الشخصيات التي يقع عليها التركيز، كونها مرّت بتحوّلات نفسية شكّلت شخصيتها، مما جعلها ترفض الواقع المأساوي الذي تعيشه، وهذا الأمر لم يأت من فراغ فبعد أن تعرضت بلادها للقصف الإسرائيلي، وما نجم عنه من فقدان

الأب والأخوة ثارت ورفضت هذا الواقع، ومهمة السارد أن يصوّر كل ما يدور في أعماق تلك الشخصيات من اضطرابات نفسية ومشاكل اجتماعية تفرض ثقلها على الشخصية، فيبرز جانب اللاوعي وما يدور في خلد تلك الشخصيات من جوانب متشائمة وقلق يرافق مسيرة حياتها، وقد نجح السارد في رسم ما عانتة (رندة) من تحولات نفسية سببها الاحتلال الاسرائيلي لـ (فلسطين) مما جعلها تثور بوجهه، تقول في حوارها مع (آمنة) : " قلتُ لها: كان يجب أن يكون أسمك رحمة وليس رندة، فقالت لي: أولاً أنا اسمي لميس، ثم هل هناك مكان يمكن أن تعيش فيه الرحمة هنا ؟ كنتُ سأموت قبل أن أولد. كنتُ سأموت بمجرد أن يخطر هذا الاسم ببال أُمي. انظري المهم، إنهم يقتلون كل شيء، أتعرفين لماذا ؟ لأنهم قتلوا الرحمة أولاً " (43). يبدو أن (رندة) لم تستطع كتمان غضبها وهي تعلم أن سبب تعاستها وتعاسة الآخرين معها هو وجود الاحتلال في بلادها.

إن مسار هذه الشخصية قد تحدّد من خلال عدم استطاعتها نشر التحقيقات الصحفية، التي كانت تكتبها وترسلها للصحف التي كانت ترفضها واحداً بعد آخر، وهذا ما جسّدته بقولها: " حدث ذلك منذ شهور، وعندها أدركت أنني لن أستطيع النشر في هذه الصحيفة طوال حياتي مادام ذلك الصحفي فيها. لكنني بعد أن أصبحت على بعد أمتار من مبنى مكتب الجريدة، أحسستُ بنفسي قوية، ويمكن القول عظيمة !! كما لو أنني استطعت الوصول الى ذلك التجلي الذي أحسّه في هؤلاء البشر أو أبطال وبطلات الروايات، وإلاّ من أين جاء لي مثل السجادة التي نمسح بها أقدامنا ؟ لقد حددت له حجمه تماماً، هذا الذي يرى بأنه يمسك بيديه مفاتيح أفواهنا وقلوبنا، ما يجب أن نقوله وما لا يجب أن نقوله، كيف يُقال وكيف يُكتب، كما لو أنه مصحح آلي في كمبيوتر .. " (44). هنا نرى شخصية غير شخصية (رندة) فمن خلال هذا الفعل الذي قامت به مع مسؤولي الجريدة، كأننا نقف أمام شخصية تحمل كل صفات القوة والتمرد، غير مبالية بالذين يمتلكون مفاتيح النشر، وهذا يفسر لنا مقدار الضغط النفسي الذي تعرضت له وجعلها تتحوّل لهذه الشخصية، فتمردتها على الصحفي الذي كان السبب الأساس في منعها من النشر، دفعها الى الإقدام على الفعل المضاد لسلوكها المعتاد المتأسس على الرضوخ والانكسار، فوقوفها بوجه الصحفي هو انتصاراً لها وإفراغاً لألمها واحساسها الداخلي، وكل هذا " يمثل نشاطاً أو سلوكاً لتفريغ طاقة ما صدرت، واستثيرت بمثير معين، فليس هناك سلوك دون أن يكون هناك دافع يحركه " (45).

لقد حاولت (رندة) التأقلم مع الواقع الذي وجدت نفسها تدور في فلكه مرغمة، ذلك الواقع الذي هو نتاج حتمي لما مرّت به في حرب فلسطين مع اسرائيل آنذاك من تجارب نفسية قاسية، لذلك أصبحت (رندة) رهينة الجنون منقسمة على ذاتها تعترتها مشاعر وأفكار متضاربة، وهذا ما تنقله لنا (أمّنة) في حوارها مع جمال بقولها: " هل تعرف ما الذي يدور في عقل هذه المجنونة التي لم نزل مصرّة على أنها ليس ؟ أن تتسلل من غزة وتذهب الى قبر غسان كنفاني، آ، غسان كنفاني حبيبك ! ثم تحفر وتحفر حتى تُحدث فتحة في القبر وتعطيه كل ما جمعته من حكايات، وتقول له: في هذه الأوراق من الحياة - رغم كل الموت الموجود فيها - ما يكفي لأن يجعلك تنفض الموت عنك، وتعود للكتابة من جديد ! " (46). إن شخصية (رندة) في حالة صراع معالواقع في محاولة لتغييره لصالحها، وإن كانت النتيجة تُحسم دوماً لذلك الواقع بوصفه الحلقة المسيطرة في عملية الصراع وديناميته.

الخاتمة ونتائج البحث:

- بعد دراسة التحوّلات المكانية والنفسية للشخصية في رواية (أعراس أمّنة) لـ إبراهيم نصر الله خلصنا الى جملة من النتائج نوجزها في الآتي :
- تعرّضت الشخصية في هذه الرواية الى عدد من التحوّلات المكانية التي جاءت منسجمة مع جانب السرد من جهة، والتعبير عن اللا استقرار النفسي والمكاني الذي مرّت به تلك الشخصية من جهة أخرى.
 - تنوّع المكان وتعدد مظاهره في هذه الرواية، تبعاً للعوامل النفسية والاجتماعية والثقافية التي ألقت بظلالها على وعي الشخصية.
 - جاء المكان في هذه الرواية وثيق الصلة بالشخصية، وهو أمر طبيعي لأن المكان لا يتحدد أبعاده الفكرية والنفسية والثقافية إلا من خلال الشخصية التي تشغله وتؤطره بإطاره الفني والجمالي.
 - تتشكل قيمة المكان من خلال ما يجسده من مشاعر تجعل صاحبها يشعر بالألفة أو المعاداة نحوه، فيتحوّل المكان من فضاء تتألف معه الشخصية الى آخر معادي يتسم بالنفور.
 - ضيق المكان واتساعه هو جزء من تفاعل الشخصية معه، فكلاهما يؤثر ويتأثر بالآخر، ومن هنا فإن شعور الشخصية بذلك هو نتيجة حتمية لحركتها وتنقلها بين فضاءات متعددة.

- تحوّل المكان الحلم الى هاجس يداعب مخيلة الشخصية في هذا المنجز الروائي ومجسداً التجارب المؤلمة التي مرّت بها نتيجة قسوة الواقع الذي تعيشه.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1- الرواية العربية واقع وآفاق، مجموعة مؤلفين، دار ابن رشد، ط1، 1981: ص 210.
- 2- المصدر نفسه: ص 212.
- 3- مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، تقديم وترجمة سيزا قاسم، مجلة عيون المقالات، ع 8، 1987: ص 63.
- 4- جماليات المكان في النقد الأدبي المعاصر، عبد الله أبو هيف، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد 72، ع 2005: ص 143.
- 5- المكان في النص المسرحي، نجم الدليبي، منصور نعمان، دار الكندي للنشر والتوزيع، أبد – الأردن، ط1، 1999: ص 16.
- 6- بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2009: ص 31.
- 7- ينظر: المكان في الرواية البحرينية، فهد حسين، فراديس للنشر والتوزيع، ط1، 2003: ص 80.
- 8- ينظر: جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور، مجلة ألف، القاهرة، ع 6، 1986: ص 28.
- 9- جماليات التشكيل الروائي (دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق)، نبيل سلمان، محمد صابر عبيد، سوسن هادي البياتي، دار الحوار، سوريا، ط1، 2008: ص 203.
- 10- شخصيات قصة يوسف في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، نهان حسون السعدون، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة الموصل، 2003: ص 249.
- 11- رواية أعراس أمنة، إبراهيم نصر الله: ص 33.
- 12- المصدر نفسه: ص 34.
- 13- المصدر نفسه: ص 55.
- 14- المصدر نفسه والصفحة نفسها
- 15- المصدر نفسه: ص 89- 90.
- 16- اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية، ناصر يعقوب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004: ص 248.
- 17- شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، محمد رياض وتار، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2000: ص 186.
- 18- الرواية والمكان: دراسة المكان الروائي، ياسين النصير، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، دمشق، 2010: ص 45.
- 19- رواية أعراس أمنة: ص 59.
- 20- المصدر نفسه: ص 93.
- 21- المصدر نفسه: ص 94.

تحولات الشخصية في رواية أعراس أمّنة لـ إبراهيم نصر الله _____ (المجلد الحادي عشر/ العدد الرابع/ ديسمبر 2022)

- 22- استراتيجية المكان، مصطفى الضبع، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1998: ص 60.
- 23- جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994: ص 200.
- 24- رواية أعراس أمّنة: ص 52.
- 25- جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا (حكاية بخار – الدّقل – المرفأ البعيد)، مهدي عبيدي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011: ص 49.
- 26- رواية أعراس أمّنة: ص 20 – 22.
- 27- جماليات المكان في الرواية العربية: ص 201.
- 28- قضايا المكان الروائي، صلاح صالح، دار شرقيات للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1997: ص 135.
- 29- قال الراوي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997: ص 242-243.
- 30- رواية أعراس أمّنة: ص 57.
- 31- المصدر نفسه: ص 56.
- 32- المصدر نفسه: ص 63.
- 33- دراسات في علم النفس، حامد عبد القادر، المطبعة النموذجية، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1949: ص 15.
- 34- الرواية العربية وتفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، د. عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1992: ص 172.
- 35- تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، محمد عبد الغني المصري ومجد محمد الباكير البرازي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002: ص 195.
- 36- رواية أعراس أمّنة: ص 8.
- 37- المصدر نفسه: ص 45-46.
- 38- المصدر نفسه: ص 70.
- 39- المصدر نفسه: ص 88.
- 40- المصدر نفسه: ص 104.
- 41- المصدر نفسه: ص 105.
- 42- المصدر نفسه: ص 86.
- 43- المصدر نفسه والصفحة نفسها
- 44- المصدر نفسه: ص 62.
- 45- التحليل النفسي للشخصية، د. فيصل عباس، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1994: ص 74.
- 46- رواية أعراس أمّنة: ص 67.

مصادر ومراجع البحث:

- 1- إبراهيم نصر الله، رواية أعراس أمّنة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط4، بيروت، 2012.
- 2- مصطفى الضبع، استراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1998.
- 3- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، 2009.

الأء محسن حسن الحسني

4- محمد عبد الغني المصري ومجد محمد الباكر البرازي، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.

5- د. فيصل عباس، التحليل النفسي للشخصية، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1994.

6- نبيل سلمان ومحمد عبيد صابر وسوسن هادي البياتي، جماليات التشكيل الروائي (دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق)، دار الحوار، ط1، سوريا، 2008.

7- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا (حكاية بخار – الدقل – المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011.

8- شاكرا النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1994.

9- عبد القادر، حامد عبد القادر، دراسات في علم النفس، المطبعة النموذجية، لجنة البيان العربي، القاهرة، 1949.

10- مجموعة مؤلفين، الرواية العربية واقع وآفاق، دار ابن رشد، ط1، 1981.

11- د. عبد الله إبراهيم، الرواية العربية وتفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، المركز الثقافي العربي، ط1 الدار البيضاء، 1992.

12- ياسين النصير، الرواية والمكان: دراسة المكان الروائي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، دمشق، 2010.

13- محمد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، ط1، دمشق، 2000.

14- سعيد يقطين، قال الراوي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1997.

15- صلاح صالح، قضايا المكان الروائي، دار شرقيات للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1997.

16- ناصر يعقوب، اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2004.

17- ينظر: فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، فراديس للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

18- منصور نعمان، المكان في النص المسرحي، نجم الدليبي، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، أبد – الأردن، 1999.

المجلات :

1- ينظر: جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور، مجلة ألف، القاهرة، ع 6، 1986.

2- عبد الله أبو هيف، جماليات المكان في النقد الأدبي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد 72، ع 2005.

3- يوري لوتمان، تقديم وترجمة سيزا قاسم، مشكلة المكان الفني، مجلة عيون المقالات، ع 8، 1987.

الأطاريح الجامعية:

- نهان حسون السعدون، شخصيات قصة يوسف في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة الموصل، 2003.